

سورة الصف

مدنية، وآياتها ١٤ [نزلت بعد التغابن]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١) يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقِيمُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُتَيْنٌ مَّرْصُومٌ ﴿٤﴾

﴿لِمَ﴾ هي لام الإضافة داخلية على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك: بم، وفيهم، ومم، وعم، وإلام، وعلام. وإنما حذفت الألف؛ لأن ما والحرف كشيء واحد، وقع استعمالهما كثيراً في كلام المستفهم؛ وقد جاء استعمال الأصل قليلاً والوقف على زيادة هاء السكت أو الإسكان. ومن أسكن في الوصل فلاجرائه مجرى الوقف، كما سمع: ثلاثة، أربعة، بالهاء والفاء حركة الهمزة عليها محذوفة، وهذا الكلام يتناول الكذب وإخلاف الموعد. وروي أن المؤمنين قالوا قبل أن يؤمروا بالقتال: لو نعلم أحب الأعمال إلى الله تعالى لعملناه ولبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا، فدلهم الله تعالى على الجهاد في سبيله، فولوا يوم أحد فغيرهم. وقيل: لما أخبر الله بشواب شهداء بدر قالوا: لئن لقينا قتالاً لنفرغن فيه وسعنا، ففروا يوم أحد ولم يفوا. وقيل: كان الرجل يقول: قتلته ولم يقتل، وطعنت ولم يطعن، وضربت ولم يضرب، وصبرت ولم يصبر. وقيل: كان قد أذى المسلمين رجل ونكى فيهم، فقتله صهيب وانتحل قتله آخر، فقال عمر لصهيب: أخبر النبي - عليه السلام - أنك قتلت، فقال: إنما قتلته الله ولرسوله، فقال عمر: يا رسول الله قتله صهيب، قال: كذلك يا أبا يحيى؟ قال: نعم، فنزلت (١٥٨٩) في

١٥٨٩ - أخرجه الثعلبي في تفسيره... كما في «تخريج الكشاف» (٧/٤).
قال الحافظ:

أخرجه الثعلبي من حديث صهيب قال «كان رجل يوم بدر قد أذى المسلمين ونكأ فيهم فقتله صهيب. فقال رجل: يا رسول الله قتلت فلاناً. ففرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال عمرو بن عبد الرحمن صهيب أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك - الحديث». انتهى

المنتحل. وعن الحسن: نزلت في المنافقين. ونداؤهم بالإيمان: تهكم بهم وبإيمانهم؛ هذا من أفصح كلام وأبلغه^(١) في معناه قصد في ﴿كَبُرَ﴾ التعجب من غير لفظه كقوله [من الطويل]:

..... غَلَّتْ نَابُ كُلِّبٍ بَرَاؤَهَا^(٢)

ومعنى التعجب: تعظيم الأمر في قلوب السامعين؛ لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله، وأسند إلى أن تقولوا. ونصب ﴿مَقْتًا﴾ على تفسيره، دلالة على أن قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه، لفرط تمكن المقت منه؛ واختير لفظ المقت لأنه أشد البغض وأبلغه. ومنه قيل: نكاح المقت، للعقد على الرابة^(٣)، ولم يقتصر على أن جعل البغض كبيرًا، حتى جعل أشده وأفحشه. ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ أبلغ من ذلك، لأنه إذا ثبت كبر مقتته عند الله فقد تم كبره وشدته وانزاحت عنه الشكوك. وعن بعض السلف أنه قيل له: حدثنا، فسكت ثم قيل له حدثنا؛ فقال: تأمروني أن أقول ما لا أفعل فاستعجل مقت الله. في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ﴾ عقيب ذكر مقت المخلف: دليل^(٤) على أن المقت قد تعلق بقول الذين وعدوا الثبات في قتال الكفار فلم يفوا. وقرأ زيد بن علي: يقاتلون بفتح التاء. وقرئ: «يقتلون» صفاً صافين أنفسهم أو مصفوفين ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ في تراصهم من غير فرجة وخلل ﴿يُبَيِّنُ﴾ رص بعضه إلى بعض وورصف. وقيل: يجوز أن يريد استواء نياتهم في الثبات حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص. وعن بعضهم: فيه دليل على فضل القتال راجلاً؛ لأن الفرسان لا

(١) قال محمود: «هذا من أفصح الكلام وأبلغه، في معناه قصد إلى التعجب بغير صيغة التعجب لتعظيم الأمر... إلخ» قال أحمد: وزائد على هذه الوجوه الأربعة وجه خامس: وهو تكراره لقوله: (ما لا تفعلون) وهو لفظ واحد في كلام واحد ومن فوائد التكرار: التهويل والإعظام، وإلا فقد كان الكلام مستقلاً لو قيل: كبر مقتاً عند الله ذلك، فما إعادته إلا لمكان هذه الفائدة الثانية، والله أعلم.

(٢) تقدم.

(٣) قوله: «على الرابة» هي بتشديد الباء كالدابة. وفي الصحاح: نكاح المقت كان في الجاهلية: أن يتزوج الرجل امرأة أبيه اهـ. (ع)

(٤) قال محمود: «ذكره لهذا عقيب ذكر مقت المخلف دليل... إلخ» قال أحمد: صدق، والأول كالبسطة العامة لهذه القصة الخاصة، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ﴿فَالنَّهْيُ الْعَامُّ وَرَدٌ أَوَّلًا﴾ والمقصود اندراج هذا الخاص فيه كما تقول للمقترف جرماً معيناً: لا تفعل ما يلصق العار بك ولا تشاتم زيذاً، وفائدة مثل هذا النظم: النهي عن الشيء الواحد مرتين مندرجاً في العموم ومفرداً بالخصوص، وهو أولى من النهي عنه على الخصوص مرتين فإن ذلك معدود في حين التكرار، وهذا يتكرر مع ما في التعميم من التهويل، والله أعلم.

يصطفون على هذه الصفة. وقوله: ﴿صَفًا كَانَهُمْ يُنِينَ﴾ حالان متداخلتان^(١).

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٥)

﴿وَإِذْ﴾ منصوب بإضمار اذكر. أو: وحين قال لهم ما قال كان كذا وكذا ﴿تُؤْذُونَنِي﴾ كانوا يؤذونه بأنواع الأذى من انتقاصه وعيبه في نفسه، وجحود آياته، وعصيانه فيما تعود إليهم منافعهم، وعبادتهم البقر، وطلبهم رؤية الله جهرة، والتكذيب الذي هو تضييع حق الله وحقه ﴿وَقَدْ تَعْلَمُونَ﴾ في موضع الحال، أي: تؤذونني عالمين علماً يقيناً^(٢) ﴿أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ وقضية علمكم بذلك وموجه تعظيمي وتوقيري، لا أن تؤذوني وتستهيئوا بي؛ لأن من عرف الله وعظمته عظم رسوله، علماً بأن تعظيمه في تعظيم رسوله، ولأن من آذاه كان وعيد الله لاحقاً به ﴿فَلَمَّا زَاغُوا﴾ عن الحق ﴿أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ بأن منع ألطافه عنهم^(٣) ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ لا يلطف بهم لأنهم ليسوا من أهل اللطف. فإن قلت: ما معنى (قد) في قوله ﴿وَقَدْ تَعْلَمُونَ﴾؟ قلت: معناه التوكيد كأنه قال: وتعلمون

(١) قال محمود: «قوله (صفاً كأنهم بنيان مرصوص): حالان متداخلتان» قال أحمد: يريد أن معنى

الأولى مشتمل على معنى الثانية؛ لأن التراص هيئة للاصطفاف، والله أعلم.

(٢) قال محمود: «بين أنهم على عكس الصواب حيث قال: تؤذونني عالمين... إلخ» قال أحمد: أهل العربية تقول: إن «قد» تصحب الماضي لتقريبه من الحال. ومنه قول المؤذن: قد قامت الصلاة، وتشتمل المصاحبة للماضي أيضاً على معنى التوقع، فلذلك قال سيبويه «قد فعل» جواب لما يفعل، وقال الخليل: هذا الخبر لقوم ينتظرونه، وأما مع المضارع فإنها تفيد التقليل مثل: ربما، كقولهم: إن الكذب قد يصدق، فإذا كان معناها مع المضارع التقليل وقد دخلت في الآية على مضارع فالوجه - والله أعلم - أن يكون هذا من الكلام الذي يقصدون به الإفراط فيما ينعكس عنه، وتكون «قد» في هذا المعنى نظيرة «ربما» في قوله: (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) فإنها في هذا الموضع أبلغ من كم في التكثير، فلما أوردت «ربما» في التكثير على عكس معناها الأصلي في التقليل، فكذلك إيراد «قد» وهنا لتكثير علمهم، أي: تحقيق تأكيده على عكس معناها الأصلي في تقليل الأصل؛ وعليه [من البسيط]:

قد أترك القرن مصفراً أنامله

وإنما مدح نفسه بكثرة هذا الفعل منه عكس ديدنه الأصلي، ولا يقال: إن حملها في الآية على التكثير متعذر؛ لأن العلم معلوم التعلق لا يتكرر ولا يتقلل؛ لأننا نقول: يعبر عن تمكن الفعل وتحققه وتأكيده وبلوغه الغاية في نوعه بما يعبر به عن التكثير، وهو تعبير صحيح. ألا ترى أن قوله: (ربما يود الذين كفروا) هو من هذا القبيل، فإن المراد شدة ودهم لذلك وبلوغه أقصى متناه لا غير، والله الموفق.

(٣) قوله: «بأن منع ألطافه عنهم» فسر الإزاعة بذلك بناء على مذهب المعتزلة: أنه تعالى لا يريد الشر.

ومذهب أهل السنة: أنه تعالى يريد الشر والخير، كما تقرر في محله. (ع)

علمًا يقينًا لا شبهة لكم فيه .

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾﴾

قيل : إنما قال : (يا بني إسرائيل) ولم يقل : يا قوم كما قال موسى ؛ لأنه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه^(١) . والمعنى : أرسلت إليكم في حال تصديقي ما تقدمني ﴿مِنَ التَّوْرَةِ﴾ وفي حال تبشيري ﴿رَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي﴾ يعني : أن ديني التصديق بكتب الله وأنبيائه جميعًا ممن تقدم وتأخر . وقرئ : «من بعدي» ، بسكون الياء وفتحها ، والخليل وسيبويه يختاران الفتح . وعن كعب : أن الحواريين قالوا لعيسى : يا روح الله ، هل بعدنا من أمة ؟ قال : نعم أمة أحمد حكماء علماء أبرار أتقياء ، كأنهم من الفقه أنبياء ، يرضون من الله باليسير من الرزق ، ويرضى الله منهم باليسير من العمل . فإن قلت : بم انتصب مصدقًا ومبشرًا ؟ أبا في الرسول من معنى الإرسال أم باليكم ؟ قلت : بل بمعنى الإرسال ؛ لأن ﴿إِلَيْكُمْ﴾ صلة للرسول ، فلا يجوز أن تعمل شيئًا لأن حروف الجر لا تعمل بأنفسها ، ولكن بما فيها من معنى الفعل ؛ فإذا وقعت صلوات لم تتضمن معنى فعل ، فمن أين تعمل ؟ وقرئ : «هذا ساحر مبين» .

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾﴾

وأي الناس أشد ظلمًا ممن يدعو ربه على لسان نبيه إلى الإسلام الذي له فيه سعادة الدارين ، فيجعل مكان إجابته إليه افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده إلى الحق : هذا سحر ، لأن السحر كذب وتمويه . وقرأ طلحة بن مصرف : «وهو يدعي» ، بمعنى دعاه وادّعاه ، نحو : لمسّه والتمسه . وعنه : يدعي ، بمعنى يدعو ، وهو الله عز وجل .

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾﴾

أصله «يريدون أن يطفئوا» كما جاء في سورة براءة ، وكأن هذه اللام زادت مع فعل الإرادة تأكيدًا له ، لما فيها من معنى الإرادة في قولك : جئتكم لإكرامك ، كما زادت اللام في : لا أبا لك ، تأكيدًا لمعنى الإضافة في : لا أباك ، وإطفاء نور الله بأفواههم : تهكم بهم

(١) قال الزمخشري : «وإنما قال (يا بني إسرائيل) ولم يقل : يا قوم ؛ لأنه لم يكن له - صلوات الله على نبينا وعليه - نسب فيهم» قال أحمد : وهذا نظير قوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ لأن شعيبًا لم يكن من قوم من أرسل إليهم .

في إرادتهم إبطال الإسلام بقولهم في القرآن: هذا سحر، مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه «والله متم نوره» أي متم الحق ومبلغه غايته. وقرئ: بالإضافة.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ ۖ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ

الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾

﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾ الملة الحنفية ﴿لِيُظْهِرَهُ﴾ ليعلمه ﴿عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ﴾ على جميع الأديان المخالفة له؛ ولعمري لقد فعل، فما بقي دين من الأديان إلا وهو مغلوب مقهور بدين الإسلام. وعن مجاهد: إذا نزل عيسى لم يكن في الأرض إلا دين الإسلام. وقرئ: «أرسل نبيه».

﴿بَيَّنَّا لِلَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَجْرَجِ نُجُجِكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

﴿نُجُجِكُمْ﴾ قرئ مخففاً ومثقلاً. و﴿تَوَمَّنْ﴾ استئناف، كأنهم قالوا: كيف: نعمل؟ فقال: تَوَمَّنُونَ^(١)، وهو خبر في معنى الأمر؛ ولهذا أجب بقلوبه: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ وتدل عليه قراءة ابن مسعود: آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا. فإن قلت: لم جيء به على لفظ الخبر؟ قلت: للإيذان بوجوب الامتثال، وكأنه امتثل فهو يخبر عن إيمان وجهاد موجودين. ونظيره قول الداعي: غفر الله لك، ويغفر الله لك: جعلت المغفرة لقوة الرجاء، كأنها كانت ووجدت. فإن قلت: هل لقول الفراء أنه جواب ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ وجه؟ قلت: وجهه أن متعلق الدلالة هو

(١) قال محمود: قوله (تَوَمَّنُونَ) استئناف كلام كأنه لما قال الكلام الأول قيل: كيف نفعل؟ فقيل: تَوَمَّنُونَ... إلخ قال أحمد: إنما وجه إعراب الفراء بما ذكر، لأنه لو جعله جواباً لقوله: (هل أدلكم) فإنكم إن أدلكم على كذا وكذا أغفر لكم، فتكون المغفرة حيثئذ مرتبة على مجرد دلالة إياهم على الخير؛ وليس كذلك، إنما تترتب المغفرة على فعلهم لما دلهم عليه لا على نفس الدلالة، فلذلك أول (هل أدلكم على تجارة) بتأويل: هل تتجرون بالإيمان والجهاد حتى تكون المغفرة مرتبة على فعل الإيمان والجهاد لا على الدلالة، وهذا التأويل غير محتاج إليه؛ فإن حاصل الكلام إذا صار إلى: هل أدلكم أغفر لكم، التحق ذلك بأمثال قوله تعالى: ﴿قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة﴾ فإنه رتب فعل الصلاة على الأمر بها، حتى كأنه قال، فإنك إن تقل لهم أقيموا يقيموها. وللقائل أن يقول: قد قيل لبعضهم: أقم الصلاة فتركها؟ فالجواب عنه: أن الأمر الموجه على المؤمن الراسخ في الإيمان لما كان مظنة لحصول الامتثال، جعل كالمحقق وقوعه مرتباً عليه؛ وكذلك ههنا لما كانت دلالة الذين آمنوا على فعل الخير مظنة لامثالهم. وامثالهم سبباً في المغفرة محققاً: عومل معاملة تحقق الامتثال والمغفرة مرتبين على الدلالة، والله أعلم.

التجارة، والتجارة مفسرة بالإيمان والجهاد؛ فكأنه قيل: هل تتجرون بالإيمان والجهاد يغفر لكم؟ فإن قلت: فما وجه قراءة زيد بن علي - رضي الله عنهما -: «تؤمنوا...» وتجاهدوا؟ قلت: وجهها أن تكون على إضمار لام الأمر، كقوله [من الوافر]:
مَحَمَّدٌ تَفْدِي نَفْسَكَ كُلَّ نَفْسٍ إِذَا مَا خَفَتْ مِنْ أَمْرِ تَبَالَا^(١)
وعن ابن عباس أنهم قالوا: لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملناه فنزلت هذه الآية، فمكثوا ما شاء الله يقولون: ليتنا نعلم ما هي، فدلهم الله عليها بقوله: ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ وهذا دليل على أن ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ كلام مستأنف، وعلى أن الأمر الوارد على النفوس بعد تشوف وتطلع منها إليه: أوقع فيها وأقرب من قبولها له مما فوجئت به ﴿ذَلِكَ﴾ يعني: ما ذكر من الإيمان والجهاد ﴿حَزْرَ لَكُمْ﴾ من أموالكم وأنفسكم. فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُفْلِحُونَ﴾؟ قلت: معناه إن كنتم تعلمون أنه خير لكم^(٢) كان خيرا لكم حينئذ؛ لأنكم إذا علمتم ذلك واعتقدتموه أحببتم الإيمان والجهاد فوق ما تحبون أنفسكم وأموالكم، فتخلصون وتفلحون ﴿وَأُخْرَى يُجِبُونَهَا﴾ ولكم إلى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب في الآجلة نعمة أخرى عاجلة محبوبة إليكم، ثم فسرهما بقوله: ﴿نَصَرْنَا مِنَ اللَّهِ وَفَتْحَ قَرِيبٌ﴾ أي عاجل وهو فتح مكة. وقال الحسن: فتح فارس والروم. وفي ﴿يُجِبُونَهَا﴾ شيء من التوبيخ على محبة العاجل.

(١) لأبي طالب. وقيل: للأعشى، يقول: يا رسول الله، تفد، أي لتفد، فحذف لام الدعاء الجازمة للفعل لضرورة الشعر، وسوغ حذفها قرينة مقام الطلب؛ وإلا فحروف الجزم كحروف الجر لا تعمل وهي محذوفة إلا شذوذاً، كما صرح به السكاكي. هذا والحذف في نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَعَادِي الْأَلَدِينَ آمَنُوا بِبَيِّنَاتٍ﴾ أسهل لأن قرينته لفظية، وهي لفظ (قل) الدال على الطلب. وقيل: هو خير بمعنى الدعاء، وخفف بحذف الياء؛ وقيل: إن ذلك في غير الفواصل والقوافي غير سديد، أي: فدى الله نفسك بكل نفس إذا خفت تبالاً من شيء. والتبال: هو الوبال، قلبت واؤه تاء. ويروى بالجر، على أنه صفة أمر وليس بجيد.

البيت لأبي طالب في شرح شذور الذهب ص ٢٧٥ وله أو للأعشى في خزنة الأدب ١١/٩، وللأعشى أو لحسان أو لمجهول في الدرر ٦١/٥، أسرار العربية ص ٣١٩، ٣٢١، الإنصاف ٢/٥٣٠، الجنى الداني ص ١١٣، رصف المباني ص ٢٥٦، صناعة الإعراب ١/٣٩١، شرح الأشموني ٣/٥٧٥، شواهد المغني ١/٥٩٧، شرح المفصل ٧/٣٥، ٦٠، ٦٢، ٩/٢٤، الكتاب ٨/٣، اللامات ص ٩٦، مغني اللبيب ١/٢٢٤، المقاصد النحوية ٤/٤١٨، المقتضب ٢/١٣٢، المقرب ١/٢٧٢، جمع الهوامع ٢/٥٥.

(٢) قال محمود: «معناه: إن كنتم تعلمون أنه خير لكم كان خيراً لكم... إلخ» قال أحمد: كأنه يجري الشرط على حقيقته وليس بالظاهر؛ لأن علمهم لذلك محقق. إذ الخطاب مع المؤمنين، والظاهر أنه من وادي قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنْ آيَاتِهِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ والمقصود بهذا الشرط: التنبيه على المعنى الذي يقتضي الامتثال والهاب الحمية للطاعة، كما تقول لمن تأمره بالانصاف من عدوه: إن كنت حراً فانتصر، تريد أن تثير منه حمية الانتصار لا غير، والله أعلم.

فإن قلت: علام عطف قوله ﴿وَيَنْتَرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾؟ قلت: على ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ لأنه في معنى الأمر، كأنه قيل: آمنوا وجاهدوا يشبكم الله وينصركم، وبشر يا رسول الله المؤمنين بذلك. فإن قلت: لم نصب من قرأ نصرًا من الله وفتحًا قريبًا؟ قلت: يجوز أن ينصب على الاختصاص. أو على تنصرون نصرًا، ويفتح لكم فتحًا. أو على: يغفر لكم ويدخلكم جنات، ويؤتكم أخرى نصرًا من الله وفتحًا.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُوفًا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ
الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ
فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾

قري: «كونوا أنصار الله وأنصارًا لله». وقرأ ابن مسعود: «كونوا أنتم أنصار الله». وفيه زيادة حتم للنصرة عليهم. فإن قلت: ما وجه صحة التشبيه - وظاهره تشبيه كونهم أنصارًا بقول عيسى - صلوات الله عليه -: «مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ»^(١)؟ قلت: التشبيه محمول على المعنى، وعليه يصح. والمراد: كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى حين قال لهم: «مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ». فإن قلت: ما معنى قوله: «مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ»؟ قلت: يجب أن يكون معناه مطابقًا لجواب الحواريين «نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ» والذي يطابقه أن يكون المعنى: من جندي متوجهاً إلى نصره الله، وإضافة «أَنْصَارِي» خلاف إضافة «أَنْصَارَ اللَّهِ» فإن معنى «نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ»: نحن الذين ينصرون الله. ومعنى «مَنْ أَنْصَارِي» من الأنصار الذين يختصون بي ويكونون معي في نصره الله؛ ولا يصح أن يكون معناه: من ينصرنى مع الله؛ لأنه لا يطابق الجواب. والدليل عليه: قراءة من قرأ: «من أنصار الله». والحواريون أصفياءه وهم أول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلاً؛ وحواري الرجل: صفيه وخلصانه^(٢) من الحوار وهو البياض الخالص. والحواري: الدرمل. ومنه قوله - عليه الصلاة والسلام -: «الزبير ابن عمتي وحواري من أمتي» (١٥٩٠) وقيل: كانوا قصارين يحورون الثياب

١٥٩٠ - أخرجه بهذا اللفظ النسائي في «الكبرى» (٦٠/٥) كتاب المناقب: باب الزبير بن العوام حديث =

(١) قال محمود: «إن قلت ما وجه التشبيه وظاهره تشبيه كونهم أنصارًا... إلخ» قال أحمد: كلام حسن وتماثل على الذي أحسن: أن يميز بين الإضافتين المذكورتين: بأن الأولى محضة والثانية غير محضة، فتنه لها، والله الموفق.

(٢) قوله: «وخلصانه» أي خالصته، يستوي فيه الواحد والكثير، كذا في الصحاح. وفيه الدرمل: دقيق الحواري. وفيه أيضًا: والحواري ما حور من الطعام، أي بيض. وهذا دقيق حواري، وكل هذه بالضم كما أفاده الصحاح. (ع)

يبيضونها. ونظير الحواري في زنته: الحوالي: الكثير الحيل/ ٢/ ٢٢٠ ب ﴿تَأَمَّتْ طَائِفَةٌ﴾
منهم بعيسى ﴿وَكَفَرَتْ﴾ به ﴿طَائِفَةٌ فَأَثَبْنَا﴾ مؤمنهم على كفارهم، فظهروا عليهم. وعن زيد بن
علي: كان ظهورهم بالحجة.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليًا عليه مستغفرًا له ما دام
في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه» (١٥٩١).

= (٨٢١٢) من حديث جابر.

وأخرجه البخاري (٩٩/٧): كتاب فضائل الصحابة: باب مناقب الزبير بن العوام حديث (٣٧١٩)
ومسلم (١٨٧٩/٤): كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل طلحة والزبير حديث (٢٤١٥/٤٨)
من حديث جابر لكن بلفظ إن لكل نبي حواريًا وحواري الزبير.
قال الحافظ:

أخرجه النسائي من حديث جابر وهو في الصحيحين بلفظ «لكل نبي حوارٍ وحواري الزبير».
١٥٩١ - تقدم برقم (٣٤٦).
قال الحافظ:

أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدى من حديث أبي بن كعب.